



مرآة من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عزى ربح

العدد (4011) السنة الخامسة عشرة -

الخميس (7) أيلول 2017

WWW. almadasupplements.com

8

حسين الرحال في مذكرات

سانحة امين زكي



حسين الرحال



الرحال والدفاع عن قضايا المرأة



شكل حسين الرحال، الذي أصبح في العشرينيات طالبا في مدرسة الحقوق في بغداد، في العام ١٩٢٤ ما كان بالفعل اول حلقة دراسية «ماركسية» في العراق، او انه بث - بالاحرى- اول العناصر الماركسية في تفكير جماعة ادبية لا رسمية كانت موجودة قبل ذلك التاريخ. وربما لم يكن لمعظم الشباب الذين كانوا يختلون يومها بالرحال في مناقشات مغلقة في غرفة داخلية من مسجد الحيدر خانة في بغداد (وهو مسجد اشتهر في تاريخ بغداد كمكان للقاء ثوري العشرينيات) ان يعرفوا انفسهم بكونهم «ماركسيون»، ولو سئلوا لقالوا انهم جماعة همها دراسة «افكار جديدة». وكان الرجال يشير اليهم، ببساطة، بقوله «جماعتي». ولكن القاء نظرة خاطفة على الجريدة الناطقة باسمهم، «الصحيفة»، التي ظهرت في ١٩٢٤-١٩٢٥، ثم لفترة قصيرة في العام ١٩٢٧، كانت تكفي لكشف توجههم الماركسي الواضح.

حنا بطاطو



مصطفى علي من حلقة حسين الرحال

الرجال اسهمت في ايقاظ مواهبه الادبية الكامنة، ولابد لنا من الإشارة فوراً الى ان هذه المواهب لم تكن ذات شأن كبير، بل ومن المشكوك فيه امكانية اعتبار روايته «جلال خالد» او قصصه القصيرة اعمالاً فنية. ومع ذلك، فقد نجح السيد - وعن غير وعي الى حد ما - في رسم الصعوبات والحيرة التي كان يعانيها ابناء جيله وفي اضافة شيء ما الى معرفة العراقيين بانفسهم. وبالرغم من ان السيد والرحال اشتركا في تعاطف متبادل فانهما كانا يختلفان الى حد مدهل في الخلفية والطبع. فقد ولد السيد من ابي عربي وام هندية - افغانية في اسرة من «العلماء» والاسياد». وكان والده - ليعود - امام جامع الحيدرخانة. وكما هو متوقع في هذه الاحوال فقد لون الدين نشأة المبكرة. ولكنه - على العموم - وقع تحت تأثير علماني ضعيف في اثناء وجوده في المدرسة التركية الابتدائية في بغداد. واستمر هذا باستمرار دراسته الرسمية. ولكنه كان قارئاً شهماً بطبعه، وكان يهتم الكتب والصحف المنشورة خصوصاً في مصر والتي بدأت تتدفق على العراق في اعقاب الحرب العالمية الاولى. وكان لرحلة قام بها الى الهند عام ١٩١٩ ان تفتح امامه افقاً جديدة ومثيرة. ولكن افقه الذهني بقي اكثر محدودية من افق رفيقه الرحال، ولم تكن معرفته واسعة، بالرغم من انه كان اكثر حساسية واغنى خيالاً واكثر تأثيراً بالضمير الاجتماعي. وكذلك، فقد كانت معالجة الرجال لشؤون الحياة اكثر هدوءاً واكثر ثورياً من معالجة السيد، الذي كان اكثر انقاداً وتهوراً. ولم يكن السيد بقدره الرحال في التعامل مع الافكار النظرية او المجردة، او باستعداد لتبني مضامينها المنطقية. كما انه كان يستسلم بسهولة للنوعية الجمالية للكلمات اكثر مما يفعل بالنسبة الى محتواها الفكري. وكان التصافه بـ «الشيوعية» - ان جاز لنا استعمال التعبير في وصف افكاره الضبابية غير المصقولة وغير المنضبطة - عبارة عن عاطفة اكثر من قناعة. وتعاطف السيد مع «الشيوعية» لانه تحسسن متاعب الجماهير العراقية الكبرى المهملة ورأى في «الشيوعية» تديدا للعتمة التي تعيشها هذه الجماهير. واذما ما اريد تعريف شخص السيد قيل عنه انه «عاطفي» او «شيعي عرومانسي». ومن ناحية اخرى، فان انجذاب الرجال الى



الشيوعية، او بالاحرى الى الماركسية، من النوع الفكري، وقد سجر منذ اللحظة الاولى بيدناميكية معالجتها الفكرية. وعبرت الجماعة «الماركسية» الجديدة عن تطلورها، اول ما فعلت، عندما بدأت بنشر جريدة «الصحيفة» بدءاً من ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٤. وكانت الجريدة جديدة في نوعها، والاولى نوعياً في عراق العشرينيات. وخلافاً للصحف العراقية الاخرى لم تسع هذه الى كسب الرزق بل الى تغيير الناس. ولم يكن همها الاخبار بذاتها او ابناء الفنانين، بل الافكار. وركزت الصحيفة على المشكلات الاجتماعية ولم تتعامل الا هامشياً مع الموضوعات السياسية. ولم تتردد الجريدة، في فترة كان التعبير فيها عن الرأي مشحوناً بالمخاطر، في مهاجمة المعتقدات والاحكام المسبقة المتأصلة في قلوب الناس. واعطت هذه الامور، كلها، جريدة «الصحافة» طابعاً خاصاً بها، وسجلت فتح منظورات جديدة في الحياة الذهنية للعراق. وتقل جريدة «الصحيفة» لينا العديد من الانباء عن الجماعة الجديدة، واولها انه يتضح من صفحاتها ان الجماعة لم تتخل ابداً عن افكارها. وبكلمات اخرى، فانها بشرت - ببساطة - بافكار ولم تهتم بالعمل السياسي. واكثر من هذا، فان افكارها كانت عالية المستوى الى حد جعلها تتغلب من قبضة الجماهير العراقية. ثم، وعلى الرغم من ان تبشير اعضائها بـ«الماركسية» كان واضحاً فان هذه الكلمات لم ترد، ولو مرة واحدة، في كتاباتهم، مع انهم اعلنوا صراحة ان «المادية التاريخية» تشكل

التفسير الافضل لعملية التاريخ. وهذا ما تدفع الشرطة اليقظة وقليلة المعرفة في الوقت نفسه. ولابد من الاضافة هنا ان معرفة اعضاء الجماعة انفسهم بالماركسية كانت ضحلة الى حد ما. وواضح انهم لم يكونوا اكثر من مبتدئين. وكانت معظم مفاهيمهم مأخوذة من مجلة «الشهرية العمالية» وعن مقالات كان الرجال يترجمها عن صحيفة «اومانيتيه» الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي. وتكشف «الصحيفة» بوضوح عن امر آخر، وهو انه لم يكن لدى كتابها برنامج محدد، وعلى العموم، فانه يمكن تلخيص كل ما كتبوا بفكرة واحدة مسيطرة، الا وهي ضرورة الاطاحة بسلطة التقاليد. وفي البداية، لم يهاجم هؤلاء الكتاب التقاليد بكل حقولها، بل انهم ركزوا على

تأثيرها على حياة العائلة ودافعوا عن تحرير المرأة العراقية من اغلالها القديمة. ولكنهم، بمهاجرتهم التقاليد في هذا الميدان الوحيد، وجدوا انفسهم يواجهون قوة تخترق كل الميادين المختلفة وتقيم التماسك في بنية التقاليد الضخمة بامرها. ولم تكن هذه القوة غير الدين الاسلامي. ولكن هذا لم يرهيبهم، بل انهم تساءلوا في اسس الاسلام نفسه من خلال تفسيرهم لكل الاديان بمنطق طبيعي. وكان هذا اكثر مما يمكن للرأي العام التقليدي ان يتحملة، وكان ان اغلقت «الصحافة». ولم يكن الرحال ورفاقه رواداً في دعوتهم الى تحرير المرأة العراقية، بل كان الشاعر جميل صدقي الزهاوي اول من اطلق الدعوة. ولكنهم كانوا من جعل حركة تحرير المرأة تأخذ شكل الحملة، ان تمت عقلنة الفكرة وتقديمها كمطلب من مطالب العملية التاريخية. وما من شك في ان توقيت هذه الحملة قد تأثر بالانجازات النسائية المعاصرة في مصر وتركيا. ولكن المخير للاهتمام هو العقلنة التي وظفت الى حد ما في تقديم اول حالة لاستعمال الفكر الماركسي في العراق، وان لم تكن تلك اول اشارة لتأييد البلشفية، ان كان الزهاوي قد سبق الرحال الى هذا ايضا. وكان الزهاوي قد حيا الثورة البلشفية في كانون الثاني (يناير) ١٩٢١، وفي قصيدة عنوانها «الحياة والموت» قال فيها: ايها الفقراء لا تياسوا من الحياة، ايها الفقراء رفعت اخيراً فوق رابية الهدى راية بلشفية حمراء
 ولكن الزهاوي كان مغرماً ما يومها بقول الاشياء المذهلة الخارجة عن المعتاد، ولم يكن يؤخذ دوماً على محمل الجد. وتطور موضوع حرية المرأة الذي طرحته الجماعة الجديدة بالشكل التالي: فتح الموضوع بمقال كتبه الرحال تحت عنوان «الحمية في المجتمع»، اعلن فيه ان لا وجود لنظام اجتماعي «طبيعي» او «خالد». بل على العكس من ذلك فان

وعموماً، فانه يخضوع الانسان لهذه التأثيرات تتشكل في ذهنه افكار جديدة يتابع استخدامها بشكل هادف لاحداث تغيير في بيئته. ويقدر ما كان الاسلام والشريعة يقران الوضع الاجتماعي للمرأة، فانه لم يكن للرجال ورفاقه - باصراهم على افكارهم - الا ان يجلبوا لانفسهم تهمة تخريب الدين والاخلاق. ورد هؤلاء بقولهم ان هدفهم الاوحد هو «اجتثاث ما زرعه التقليديون في اذهان ابناء الشعب لكي يتمكنوا من تنمية وعي اجتماعي متكافئ مع وضعهم الراهن ويمنع اعداءهم من احتكار القانون والفضيلة بعد ان احتكروا الثروة والهبة والشرف. واتكر الرحال وجماعته كذلك صلاحية الشريعة وصلتها بالموضوع على اساس ان مبادئها «صيغت من لاج مجتمع كان موجوداً قبل الف سنة ونصف». وقالوا انه بالشريعة او من دونها، فانه لا يبد للتغيير ان يحصل اذا كانت هناك حاجة اجتماعية واقتصادية ملحة اليه. ويبدو ان الرحال وجماعته كانوا يقللون من اهمية خصوصيتهم عندما ذهبوا الى ابعد من ذلك باعلانهم ان «العصر الذي كان الناس يؤمنون فيه بالتوجيه الالهي لاحداث الطبيعة قد ولى»، وان لبس الدين هو الذي يحرر الحياة الاجتماعية بل ان الحياة الاجتماعية هي التي تحرك الدين». وبكلمات اخرى، فانهم صرحوا بانهم صاروا لايعترفون الا بالواضع الانسانية والردود الانسانية. واثارت جراتهم المتزايدة حنق التقليديين الذين لم يتأخروا في التكتشير عن انيابهم. وسرعان ما وجدت جماعة الرحال الصغيرة نفسها محاطة بهيجان ناجم عن الممررة والامتعاض، وصارت خطب ايام الجمعة في المساجد تسليهم نارا حامية. واستنكرتهم المضايقات الجماعية على اساس كونهم مرتعا للكفر والاحاد. واسكت صوت الجماعة، ولكنها عادت فسجلت نقطة لحسابها. والواقع ان الجماعة لم تخضع. وجرى تذكير بغداد بذلك بعودة «الصحافة» الى الظهور لفترة قصيرة بعد ذلك بستين (في العام ١٩٢٧). وقالت افتتاحيتها بلهجة الانتصار: «عدنا، ولم نلغظ نفوسنا الاخير كما تصوروا».

عن كتاب ((العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية))

حسين الرحال والحلقات الاولى للماركسيين في بغداد



بعد حسين الرحال، رائد الفكر الماركسي في العراق، لجهوده في انشاء اول خلية ماركسية ضمت محمود احمد السيد ومحمد فاضل البياتي وعوني بكر صدقي ومصطفى علي ومحمد سليم فتاح وعبد الله جدوع. وقبل التعرف على افكار هذه الجماعة ونشاطها، لابد من اعطاء فكرة عن خلفيتها الاجتماعية وكيفية تشكيل تلك الخلية. ان مؤسس الخلية ومحورها الفعال هو حسين علي صائب الرحال، المولود في بغداد عام ١٩٠٣، وهو ابن عائلة متوسطة الحال، والده كان ضابطاً في الجيش العثماني. وعلى الرغم من مشاغله كان حريصاً على اكمال تعليمه. فأدخله في المدرسة السلطانية في بغداد. وكان ابرز معلميه معلم التاريخ "ارسين كيدور" وذلك عام ١٩١٤. ويشير "حنا بطاطو" الى ان لكيدور التأثير الكبير في نشر الماركسية في العراق من خلال تأثيره في حسين الرحال الذي قام فيما بعد بتشكيل اول خلية ماركسية في العراق.

د. مؤيد شاكر الطائي

وحقيقة الامر انه ومن خلال الاطلاع على مختلف المصادر لم نجد اثرًا لكيدور في تطوير ونشر الفكر الماركسي في العراق. وان تأثير كيدور في الرحال كان ضعيفاً فان الاخير كان عمره (١١) سنة عندما كان طالباً لدى كيدور، وهذا العمر قد يتسنى فيه للرحال تلقي بعض الافكار من كيدور بما يتناسب وعمره، لكن ليس بالشكل الذي رسمه بطاطو، من ان مستقبل الحركة الشيوعية والفكر الماركسي في العراق تطور بسبب هذا التأثير. كانت نقطة التحول في حياة حسين الرحال، والده في القيادة العليا للمدفعية في الجيش العثماني، وايغاده في بعثة عسكرية الى المانيا التي يهرته كثيراً، فسعى الى ارسال ولده في بعثة حكومية للدراسة فيها. وقد تحقق له ما اراد بفعل مكانته العسكرية، فاصبح حسين الرحال عام ١٩١٦ طالباً في احدى ثانويات برلين، حيث تعرف على الشباب الالمان وافكارهم. وكانت المانيا انذاك تمر بمرحلة ثورية بعد الهزيمة في الحرب العالمية الاولى وتشيع فيها الافكار الاشتراكية، واندلعت ثورة "السياراتاكيين الشيوعيين" عام ١٩١٨. واصبحت معارك الثورة في برلين تجري قريباً من سكنه، فسمع وقرأ بيانات ومطبوعات قادة الثورة وتعرف على افكارهم الماركسية. وقرأ ايضا الجريدة البرلينية "برلينر تاكسه فلاك" وكراس بعنوان "حكومة السوفييات في هنغاريا". وبسبب اضطرابات الأوضاع والصعوبة التحويل الخارجي لتغطية نفقات الدراسة، ترك دراسته في المانيا وعاد الى العراق في نهاية عام ١٩١٩.

اما الشخص الثاني من الجماعة، فهو محمود احمد السيد، المولود في بغداد عام ١٩٠٣ في محلة باب الشيخ. وهو ابن رجل دين وامام جامع الحيدرخانه. تربى ونشأ كما اراد والده نشأة دينية، فدرس في المدرسة التركية الابتدائية في بغداد، وبعد الاحتمال البريطاني للعراق زار الهند وقضى فيها بعض الوقت. ورجع الى العراق عام ١٩٢٠، وكتب مقالات عدة في صحف محلية مثل "الاقوات البصرية" و"المشرق"، تطرق فيها الى مواضيع تخص الدين والاخلاق والمجتمع والدعوة الى العلم والمساواة ومواضيع اخرى دلت جميعها على اخلاص وتدين وتقوى، ان كانت الاجواء الدينية لاتزال مسيطرة عليه.

كانت نقطة التحول الكبرى في حياة محمود احمد السيد، رجوعه من الهند وتعرفه على حسين الرحال، بعد ان تعرف على مصطفى علي وعوني بكر صدقي، ان ان تعرفه على الرحال كانت له اهمية كبيرة في تفكيره وعقيدته واهتمامه، ان تاثر كثيراً بأفكار الرحال، وتأثير من الرحال انصرف السيد الى كتابة القصص ذات الطابع الاجتماعي الاشتراكي، وبذلك قلب فكر محمود احمد السيد رأساً على عقب، وهذا ما برز في قصصه التي كتبها بعد تعرفه على الرحال.

اما بقية افراد الجماعة التي تعرف عليها الرحال بعد تعرفه على السيد، فهم فاضل محمد البياتي وهو من عائلة غنية ان كان ابوه بكباشي (مقدم في الجيش العثماني). وعوني بكر صدقي المدرس في المدرسة الحيدرية في بغداد، وكان ذا ميول صحفية وابن موظف صغير واسمهم

مع محمود احمد السيد عام ١٩٢٢ في تأليف كتاب "السهام المتقابلة"، ومصطفى علي وهو معلم ابن نجار، ومحمد سليم فتاح، صهر حسين الرحال، كان طالباً في كلية الطب، وهو ابن مسؤول سابق في الحكومة العثمانية، وعبد الله جدوع، موظف في ادارة البريد والبرق وهو ابن خياط. تركت شخصية الرحال اثرًا كبيراً في هذه الجماعة، لما كان يتمتع به من ثقافة واسعة. وبهذا التعارف تكونت اول خلية ماركسية في العراق عام ١٩٢٢.

كانت الخلية وبسبب عدم امكانيتها في الحصول على مكان خاص بها لغرض الاجتماع واللقاء تجتمع في احدى غرف جامع الحيدرخانه التي حصلوا عليها بوساطة والد محمود احمد السيد. وقد اطلقوا على غرفتهم هذه اسم "الصومعة"، وكان حسين الرحال يشير لمجموعته باسم "جماعتي"، وحين تسأل عن عملها تجيب "ان همنا دراسة افكار جديدة". وكانت تتخذ لها ايضا مكاناً بارزاً في مقهى النقيب في محلة قنبر علي (وسط بغداد)، وفي مقاهي الساب الشرقي. وكانوا يعرفون بين الشباب باسم "حملة الافكار الجديدة".

تظرت هذه الخلية الى مصر على انها منبع الفكر الاشتراكي في المنطقة العربية. لهذا حاولت الحصول منها على الكتب الاشتراكية، وهذا ما يتبين من رسالة محمود احمد السيد الى الاشتراكي التقدمي اللبناني الداعي الى المساواة نيقولا حداد عام ١٩٢٣، والتي اوضح فيها حاجتهم الماسة الى الكتب والمجلات والصحف الاشتراكية، وبخاصة صحيفة الحزب الاشتراكي المصري، ويشكا من قلة الكتب الاشتراكية الماركسية في العراق.

انصرفت الخلية عام ١٩٢٣ الى دارسة الاوضاع العامة في البلاد، لاسيما مسألة الاستغلال الرأسمالي الاجنبي لخيرات البلاد، فوضعت تقريراً مفصلاً في هذا المجال، تناول شرح الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وركز على ظروف الاستغلال الاستعماري، وسعت الى ايصاله للسفارة السوفيتية في طهران، من اجل نقله الى لينين. وقد سافر احد افرادها الى طهران وسلم التقرير الى السفارة السوفيتية التي نصحتهم بالتخلي عن النشاط المستقل والعمل في صفوف الحزب الوطني العراقي بزعامة جعفر ابو التمن.

وعلى الرغم من ان تثبت رسالة هذه الخلية الى نيقولا حداد من قلة معلومااتها واطلاعاتها بالفكر الاشتراكي عامة والماركسي خاصة، الا انها سعت الى ممارسة نشاطها في بعض الصحف المحلية، ولم تكن لها اذناك اهدافاً محددة ثابتة لتحقيقها، بل سعت لنشر الافكار التقدمية ومهاجمة الرجعية. واكدت "ان الذي يتلقى فكرة جديدة او يقرأ شيئاً يجب ان لاتمنعه من قبوله عقيدة سابقة تتعارض مع الفكر الجديد، فعلى المرء ان يجادل ويناقش وينتقد".

من هذا المنطلق بدأت الخلية متمثلة بحسين الرحال ومحمود احمد السيد، نشاطها على صفحات مجلة "اليقين"، وحرصاً على كتابة مقالات مشتركة اغلبها مترجم عن الفرنسية



لاطلاع الرأي العام على ما يجري في اوربا من تجدد ورقي، وحثاً على ضرورة اظهار الافكار الجديدة والتطور الحاصل في العالم لرفاهية الناس واسعادهم). يبدو ان حسين الرحال ومحمود احمد السيد، قد حرصا على كتابة المقالات في هذه المجلة بصورة لا تثير رئيس تحريرها الذي كانت طبيعة تعليبه تتعارض مع افكارهم الماركسية، مما قد يجرهما من الكتابة فيها. لذلك لم نجد ما يشير لفكر الماركسي في هذه الكتابات. ظهرت لاعضاء الخلية كتابات ايضا على صفحات جريدة "العاصمة"، وتحديداً لمحمود احمد السيد الذي اكد ضرورة التجدد والثورة على الجامدين من اهل الابد العتيق واهمية الحرية الفكرية. وكتب ايضا في جريدة "العراق" مقال اكد فيه سوء حالة الافكار المتوارثة السائدة في المجتمع، معللاً ذلك بشيوع اثار العهد الماضي في الحياة العقلية والفكرية للمجتمع. وأشار الى ما ينتاب المجتمع من اهتمام بكتب الغرام والخيال واهمال الاتار التي تمثل الفكر والعقل المتجدد الذي يحمل آراء في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

كان أول نشاط بارز ظهرت من خلاله هذه الخلية، هو الخلاف الفكري مع التيار المحافظ الذي كان يسود البلاد، الذي كان محوره قضية الحجاب وتحريم المرأة، الذي شغل الرأي العام آنذاك حتى سمي بمعركة "السفور والحجاب".

دار الخلاف بين الخلية الماركسية يساندها عدد من المثقفين الذين وافقهم على افكارهم بشأن موضوع تحرير المرأة، مثل سامي شوكت والشاعر معروف الرصافي وغيرهما، التي اخذت من صحيفتي "العراق" و"العالم العربي" مجالا لنشر مقالاتهم، وبين بعض

ضمر على المجتمع بدخول عادات غريبة عليه. وقد ساند الفكيكي في رأيه هذا، جميل المدرس، بمقال في الجريدة نفسها بتوقيع مستعار باسم "منزوي" اتهم به دعاء السفور بالبروق والخروج على الدين ووضح "ان من يطالب بالسفور والتبرج بوصفها قاعدة اساسية لرفع الامة العربية الاسلامية لمستوى الحضارة الغربية عليه ان ينظر الى عادات واخلاق مجتمعنا".

بدأت سلسلة طويلة من المقالات بين دعاء التحرر والمحافظين، لم تخل من التهجم والتجريح. فقد كتب دعاء السفور العديد من المقالات في صحيفتي "العراق" و"العالم العربي" ومنها مقال لسامي شوكت باسم "الطبيب الاجتماعي" دعا فيه الى نبد الحجاب وان تؤدي المرأة دورها في المجتمع في شتى المجالات بما فيها السياسية، وان تفتح امامها سبل التعليم بصورة عامة وليس التعليم الديني فقط. وكتب مصطفى علي، مقالات عدة بعنوان "النهضة النسائية". الحجاب والسفور" ايد فيها سامي شوكت وهاجم افكار الفكيكي وعدها افكاراً رجعية. ووضح ان الحجاب لم يكن في يوم من الايام عادة عربية، بل هو طارئ على المجتمع العربي الذي اكتسبه من مخالطته اقواماً اخرى. ومثلما كان الحجاب طارئاً على المجتمع العربي فسوف يأتي الوقت للتخلص منه. وانتقد حالة المجتمع العراقي في تركيزه على تحجب نساء المدن في وقت لم ترتبط المرأة الريفية بالحجاب. وبين ايضا ان ما يكتبه هو وجماعته مبني على اساس النظر للامور من الوجهة الاجتماعية المجردة من كل شيء، واستنكر الشتائم والمغالطات التي يستخدمها دعاء الحجاب في مقالاتهم، ودعا الى النقاش العلمي البحت المجرد. واستعرض محمد سليم في مقالته "حياة المرأة" الاوضاع السيئة للمرأة العراقية، مستفيداً من كتب انجلس "تاريخ الملكية الفردية" و"العائلة والدولة"، مستنكراً الاسلوب الذي يتبعه الرجال في معاملتهم النساء، موضحاً ان المرأة أصبحت على وفق هذه المعاملة، تسترئ وتباع، وعملها مقتصر على الانجاب فقط. وانتقد ايضا رأي دعاء الحجاب بان الحجاب يمنع الفساد، متسائلاً، هل حجاب المرأة قد منعها من الفساد ايام القحط والغلاء؟.

اسهم الرحال بوصفه مؤسس اول خلية ماركسية، في الرد على دعاء الحجاب من خلال مقاله "الجبر الاجتماعي" الذي ايد فيه جماعته، وبين فيه ان الحجاب لا يرفع انما يرتفع وذلك عندما يحل محله العلم والمعارف. واستنكر مستشهداً بقول علماء النفس والطب، المعتقد السائد في المجتمع بان نكاه المرأة اقل من نكاه الرجل. وذكر انه اذا كانت المرأة غيبة فان السبب يعود الى حياة التخلف التي تعيشها حتى اوصلتها الى مرحلة الدفاع عن سجنها بنفسها، وتسمى نفسها عورة. ووضح ان الحجاب ليس تقليداً قومياً او دينياً، انما تقليد اجتماعي حدث في مرحلة معينة ستزول بمرور الزمن.

عن رسالة (الحزب الشيوعي العراقي)

لليادة طعم الولادة الدائمة، هكذا تذكرنا زيادة الحدائة الشعرية في العراق، وعندما نتحدث عن محمود أحمد السيد روائياً أو قاصاً، ستقتصر ريادته على ما انتج فيهما من تصورات جديدة، وهذه زيادة غير مكتملة، فقد سبق السيد آخرون وهم ينتجون روايات وقصصاً، لعل الرواية الإيقاظية لسليمان فيضي التي انتجت في البصرة أواخر القرن التاسع عشر أقدم منها وإن لم تكن نقيّة الأسلوب ومحددة النوع، لذا فريادة السيد كما اعتقد ليس في كتابة الرواية، إنما في التفكير الحدائي في تطوير المجتمع

الذي استدعى أسلوباً فنياً مهماً وكبيراً هو الرواية والقصة كي يقول ما يريده لتحديث المجتمع، رواية «جلال خالد» التي كتبت عام ١٩٢٨ تتحدث عن مناخ واجواء الحراك السياسي الثقافي في السنوات التي سبقتها أية بداية العشرينيات. يجب أن تدرس الرواية من هذا الباب باب الرؤية الفكرية لتحديث المجتمع المعبر عنها بالرواية أسلوباً وقالباً فنياً، وليست لأن رواية جلال خالد الرواية الأولى الناضجة، بالرغم من مستلزمات الريادة أن يكون النتاج الثقافي موازياً لها، فمن يقرأ الرواية اليوم سيجد الكثير من الهفوات الأسلوبية فيها، ولكنها مع ذلك كله كانت الرواية الأنضج ضمن مرحلة التفكير النواة في الحدائة الفكرية والروائية للمجتمع العراقي.

ياسين النصير



كان

وجماعة
من الشباب
جذوة تفكير مبكر

في تأسيس حلقات ثقافية

يتدارسون فيها ما يمكن عمله، فالحرب العالمية الأولى قائمة ولم تحسم نتائجها بعد، والتفكير بالتغيير يتخذ أشكالاً نواة، فيلتقي بأحمد محمود السيد وآخرين ويؤسس لذلك جريدة الصحافة، الجريدة التي قادت فكرة التنوير، فيصبح شخصية كارزمية في العراق أمراً واقعا، كل ذلك بدأ يفرض تحولا ثوريا لدى حسين الرحال، ويتحول من فكرة للنورة عاتمة منتسطة، إلى فكرة عملية وميدانية، فكانت شذرات لقاءاته هنا وهناك تتحول إلى قوة فكرية مادية يمكنها أن تحرك الشارع، فلم يكن أمامه إلا المثقفون الفاعلة الجماهيرية الجديدة.

تفكير مبكر

قد يبدو الحديث عن حسين الرحال خاصاً بالرحال نفسه، في حين أن حسين الرحال

محمود أحمد السيد ورواية عن حسين الرحال



وتعرف على شخصية صحفية ماركسية هو «سوامي».. هذه الأرضية استثمرها محمود أحمد السيد في روايته جلال خالد، وعُدّ بطلها أمونوجا ينهل من معارف وتجارب العالم، ألمانيا والهند، كي يكون بطلا عراقياً ومختبراً حياً للأفكار الجديدة التي نهض بها الشباب يومذاك.. ويمكن تلمس ثلاثة خطوط أولية لأرضية هذه الرواية:

توجه يساري

الأول هو الوضع السياسي الثقافي في العراق خلال فترة العشرينيات وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وتقسيم منطقة الشرق إلى دويلات، وحضور مكثف للقوات الإنجليزية في الشرق الأوسط، وسقوط دمشق بيد الفرنسيين عام ١٩٢٠ واحتلال فلسطين والعراق قبل هذا التاريخ، كل ذلك صاحبه نهوض شبابي لحركات يسارية مضادة للأجنبي، ومنطلعة لحكم وطني،

باللباس الديني في حين أن جانبها الشعبي لم يدرس إلا عبر العشائر والجامع، هذا الوضع رصدته الشعراء فوجدوا ثمة تلمساً في صفوف الشباب ضد التقاليد والمفاهيم التي تحجم ثورة مثل ثورة العشرين، وتجعل منها ردة فعل وليست ثورة تغيير، هذا الوضع شجع الكثيرين من الشباب الخروج على تقاليد وأعراف القبيلة، لعل الشاعر الرصافي أول من رصد هذه الأرضية بقصائد منها ما يستشهد به حنا بطاطو سئمت كل قديم عرفته في حياتي إن كان عندك شيء من الجديد فهات

أو حين قال

ثوروا على العادات ثورة حانق

وتمردوا حتى على الأقدار الثاني هو وجود أرضية سياسية مبكرة تمثلت بجمعية أسمت نفسها «الحزب السري العراقي» الذي تأسس عام ١٩٢٢ وكان هذا الحزب قومي الاتجاه أول الأمر، لكن أعضاءه من الشيبيية والمتقدمين الذين ما أن شكّلوا خلاياه الأولى حتى بدأت حركتهم تتجه نحو محاربة الإغنياء «وفي عام ١٩٢٤ كما يقول بطاطو شقوا طريقهم لمكاتب الإغنياء وهدوهم بدمع آلاف الروبيات للفقراء» إن بنية التنظيم كانت نواة للحزب، وهو مسعى ما كان يخطر على رواد النهضة الذين كانوا يتكفون بلقاء عابر أو جلسة مقهى، ها هم أمام تنظيم اتخذ منطلق السرية خارطة له والاهتمام بفقراء الناس طريقة لتطبيق أفكارهم، هذا الحزب سرعان ما قادته أوضاع الفقراء إلى أن يكون نواة تحرك الشارع ورواده ومتلقيه نحو التجديد..

الثالث هو الأرضية التي تركتها حركة النهضة العربية في لبنان، ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر وإلى عشرينيات القرن العشرين، وكانت ممثلة بنخبة كبيرة من المفكرين من بينهم أحمد فارس الشدياق، مارون نقاش، بطرس البستاني، ابراهيم اليازجي، سليم البستاني، يعقوب صروف، شبلي الشميل، فرح انطون، جرجي زيدان، خليل مطران، أمين الريحاني، هؤلاء الذي أرسوا قواعد فكرية ومن مختلف التيارات والاتجاهات، حيث كانوا نواة النهضة العربية المترافقة مع رواها في مصر والشام.. فمن بينهم الفيلسوف والمسرحي والشاعر والصحفي، بمعنى أن أدوات التعبير كانت إطاراً عاماً لتوصيل أفكارهم، ومن هنا نجد حسين الرحال يبدأ بأصداً جريدة الصحافة، ويبدأ محمود أحمد السيد باستثمار خبرة وحياة حسين الرحال ليجعل منه بطلاً لروايته جلال خالد.. ويمثل ما كان لبنان همزة وصل كما يقول عصام محفوظ، حاول العراق أن يوصل الشرق بالغرب عبر ميناء البصرة والرحلات



السياحية إلى الهند، الطريق الذي سلكه حسين الرحال خشية أن يمر بدمشق التي كانت على خلاف مع العراق يومذاك، ومن هنا نجد هذه الرحلة التي ما كان لها أن تستمر، فقد استمرت سنة كاملة اعطت معلوماتها لمحمود احمد السيد بأن يشكل منها نواة روايته عندما يجدد بطلها معلوماته عن الماركسية، وكيفية نضال الهنود السياسي، والمهمة، وهو الشاب الذي يجب أن يقوم بها في العراق.. طرحت رواية جلال خالد خمس مشكلات جزرية على الصعيدين الفني

والفكري،

وهو ما يجعلها رواية استكشاف ورؤية، وليست رواية حدث أو شخصية.

مشاكل ثقافية

المشكل الأول وضمن توجهات المرحلة وقلة النتاج الروائي المؤلف أو المترجم، يجعل من جلال خالد تطوراً لقصص الرؤيا التي كانت سائدة يومذاك، وهي القصص التي تعتمد على سياقات الأحلام والتمنيات ومعظمها كما يشير الدكتور المرحوم عبد الإله أحمد



محمود احمد السيد من حلقة الرحال

أنها فردية وقضاياها محددة بالبرغبات والتطلعات، وإذا ما وضعنا هذا التصور ضمن سياق شيوع الحكاية وهيمنة القوى العثمانية المختلفة على الثقافة العراقية لا نجد ثمة تصوراً لجلال خالد غير أنها باكورة امتزاج موقف وطني معبر عنه بفنية اتخذت في صفحات كثيرة منها طابع السرد، وفي صفحات أخرى طابع الرسائل..

المشكل الثاني، وهو الارضية التي توجهت الرواية إليها، وهي الشباب، هذه الارضية نجدتها متوفرة في الرواية على صعيدين: الصعيد الأول ان بطلها ومؤلفها هما من فئة الشباب، أما الصعيد الثاني، فالخطاب موجه لشريحة اجتماعية يستهويها التجريب والظهور والعمل، والخطاب المناقض لخطاب الأبناء والعقائد السائدة وهو ما شخصه الرصافي، وثمة صعيد ثالث وهو ما يجمع بين الإثنين، هو ان المرحلة تشهد حراكاً عالمياً وعربياً وداخلياً، ففي الداخل ثمة حركة لثورة العشرين، وفي العالم بدأ ترميم البلدان التي نهضت من الحرب مهزومة، وعلى المستوى العربي تشهد القاهرة وبيروت حراكاً من اجل حقوق المرأة والشباب قاده قاسم أمين. هذه الارضية فرضت على السيد أن يعتمد أسلوباً خطابياً مباشراً بثوب قصصي..

المشكل الثالث، وهو ان هذا الحراك الجماهيري بحاجة إلى قاعدة مختصرة تنظم فعالياته، فكانت جريدة الصحافة والحلقات الماركسية الأولى، نواة لهذا التنظيم، وقد استثمر حسين الرحال الحاليين لتكوين رؤية تنظيمية لا تخشى الشارع العام بطروحاتها، ولا تدعي امكانيات ليس بمقدورها العمل فيها، من هنا كانت الوجهة الثقافية هي الميدان الذي يستوعب هذا الحراك..

المشكل الرابع، أن الرواية خاطبت مكونات مرحلة ولم تقتصر على فئة الشباب فقط، حيث شخصت احتياجات العراق والمنطقة ودورها الإقليمي، وما سوف يلعبه العراق على مختلف الجهات، وهذا الدور يسمح له بان يكون في صدارة البلدان العربية للتحرر من الاستعمار البريطاني الذي بدأ يرسخ كيانه عبر العشائر وبعض الشخصيات البرجوازية، فأسس لذلك شركات ووزع الأراضي بين المشايخ لخلق طبقة اقطاعية جديدة..

المشكل الخامس، هو ان الرواية ليست نقيّة الأسلوب مما يعني ان خطابها المعرفي يتجه لمخاطبة شرائح واسعة من الناس المختلفة الثقافة، كبار السن والشباب، المرأة والطلبة، هذه الفسحة من المحاوره هي اشبه ما تكون ببيان سياسي عبر الثقافة يتوجه به اللبيراليون للتعبية وتوعية الشعب..

حسين الرحال في مذكرات سانحة امين زكي



سانحة امين زكي



كنت احب بيت خالتي حياً جماً واحياناً اقضي معهم ايام الخميس وارجع الي بيتنا يوم الجمعة. وكان السبب في حسي الكبير بهم هو هدوء بيتهم، لم يكن لديهم اطفال، وكنت انهب عندهم واصبح الطفلة الوحيدة هناك، بينما في بيتنا انا الطفلة الكبرى ووراثي اخوات واخوان واوولاد عمي. والسبب الثاني كان عندهم اعتقاد واضح بأن الرجال والنساء متساوون في كل شيء.

وهذه العقيدة اتية من الولد الاكبر (حسين الرحال) الذي ذهب الى المانيا في ايام الهدنة لمدة قصيرة وهو دون العشرين من العمر واكتسب الكثير من التفكير الاوروبي. ومن اسباب مؤازرة (حسين) للمرأة هو ما حدث لاخته (سنية) وزوجها ابن مهم المقدم (مهدي الرحال). لقد جعلته ينفر ويكره الكثير من الاحوال السائدة حول حقوق الرجل على زوجته، واصبح دائم السخرية من الشرائع كلها ويريد تبديلها بأي شكل. ولهذا كان شديد الاعجاب (بمصطفى كمال) رئيس الجمهورية التركية الحديثة وتحريره للمرأة التركية.

في هذا الوقت كانوا يعيشون معاً، امهم خالتي، وحسين الابن الاكبر وهو غير متزوج وفي سن أُمي خالته وعمره سبعة وعشرون عاماً، و(سنية) اخته وتصغره بستين وزوجها المقدم (مهدي الرحال) وهو ابن عمهم، و(أمينة) الاخت الصغرى وكانت صبية في الخامسة عشر من عمرها طالبة في السنة الاولى من دار المعلمات اما الاخ الاصغر (محمد) فقد كان مهندساً يشتغل في الجنوب وعمره لايتجاوز الحادية والعشرين.

هنا يجب ان اذكر ان (سنية) كانت قد تركت زوجها وعادت الى بيت والدها في اول زواجها قبل عشرة اعوام، ولكن زوجها رفض ان يطلقها وتزوج عليها امرأة ارمنية فاضلة ولدت له ولدا اسمه (خالد). في هذه الفترة التي انا بصددنا، كان عمر خالد اربع

سنوات ولم اكن قد رأيت، وقد كبر (خالد الرحال) واصبح من كبار الفنانين في النحت في العراق منذ خمسينيات. وكنت احب (امينة) الصغرى (سنية) الكبرى، اما اخوانهم فلا اعرف عنهم الا القليل، وكنت اخاف من (حسين الرحال) واتحاشاه، بسبب بدائته ورأسه الضخم وعيونه الزرقاء الكبيرة النافذة وصوته القوي الأمر، ولكن اخته (سنية) اخبرتني انه يعمل الكثير من اجل المرأة، ولم ادر ماذا كان يفعل من اجل المرأة، ولكن خوفي منه قل كثيراً، سمعت منه انه يعتقد بما يعتقد به (مصطفى كمال باشا) الذي حرر المرأة في البلد الاسلامي الوحيد في العالم (تركية)، وان العالم الاسلامي كله متأخر ومتخلف... وكنت اسمع عن (مصطفى كمال باشا)، رئيس الجمهورية تركية الحديثة، وكان قد اصبح البطل الذي غلب الجيش اليوناني وادخل الاصلاحات في البلاد، خاصة، مساواة الرجل والمرأة، الزواج بزوجة واحدة فقط وسفور المرأة وغير ذلك. وقد اثر على العالم الاسلامي والعربي تأثيراً كبيراً. (ولم يكن قد بدأ بتغيير الحروف العربية في اللغة التركية الى حروف لاتينية في ذلك الوقت، وهو الامر الذي اثار العواطف الاسلامية في كل العالم الاسلامي).

رأيت التأثير في ايران في المجالات والاصلاحات التي قام بها الشاه (رضا خان) والمدارس للبنات، ورأيت صور الشاه (امان الله خان) ملك الافغان وزوجته (الملكة ثريا) وهي تجلس معه سافرة وتلبس ملابس

العروسية) و(اللطائف المصورة) وكنت افهم اكثر المواضيع. ان (مهدي الرحال) زوج (سنية)، يعلم ان زوجته لاتحب الخروج، فكان يشتري لها مجلتيْن او اكثر في الاسبوع وكلها مجلات مصرية، وقد يتأخر في شراء اي شيء ما عدا شراء المجلات الاسبوعية لها!... وكانت هذه العادة من مزاياء الجديدة. كانت المجلات المصرية حافلة بصور الامير الصغير (فاروق) ولي عهد المملكة المصرية، واخواته الصغيرات الثلاث (فوزية وفائزة وفائقة) وجمالهن الرائع وكن جميعاً دون العاشرة من العمر. وكان الملك (فؤاد) والدهم ملك مصر، بوجهه المتكبر البدين وشاربه المنتخب الى الاعلى.

تعلمت اسماء ملوك آخرين في بلاد بعيدة، مثل الملك جورج الخامس ملك بريطانيا وامبراطور الهند وزوجته الملكة ماري، والبرنس اوف ويلس ولي عهدهما، والطفلة (اليزابيت) الملكة القديمة الشقيقة والمحاطة اسميه الصغرى (مارغريت روز) ووالدهما (الدوق اوف يورك) الذي اصبح الملك (جورج السادس) بعد سنوات. وكانت الانقلاب الغربية لها وقع ساحر في نفسي مثل (برنس ودوق). ورأيت صور ملوك السويد والنرويج وملك البلجيك وملكة هولندا وبعض ملوك البلقان وادهنشي ان ملك البانيا كان اسمه (احمد زوغو)، اي انه كان مسلماً... كذلك قرأت عن الشاه (رضا بهلوي) وقبعته البهلوية الغربية وابنه (شاهبور محمد رضا)، وصور الزعيم الهندي (غاندي) بجسمه الهزيل العاري، ما عدا مئزراً يلفه على اسفل جسمه ويبيده مغزلاً لكي ينسج ملبسه منه.

رأيت وقرأت اخباراً عن (ايبي جونسون) الطيارة البريطانية التي طارت بمفردها من لندن الى استراليا... ورأيت فتيات يسبحن في البحر، ويركبن الدراجات ويسفن السيارات. اسماء ملكات حكمن بلادهم مثل الملكة (اليزابيت) الاولى، والملكة (فكتوريا) والكثير من ذلك. تعلمت هذه الاسماء وانا دون العاشرة من العمر، وتبدلت آرائي وافكاري عن بلادنا وعن كل بلاد الشرق!.

اصبحت اوروبا البلاد المحبوبة المرغوبة بالنسبة لي!.. وكل شخص يذكر شيء ضد النساء او البنات، اذكر له اوروبا المتحضرة القوية!.. ان اوروبا اصبحت ملاذ لمدة سنين عديدة اثناء المناقشة والجدال حول المرأة من سنوات الطفولة والمراهقة، مع اني لم اسافر الى الغرب الا بعد ان تجاوزت العشرين من العمر.

عن كتاب تذكيات طبية عراقية
د. سانحة امين زكي ٢٠٠٥

حسين الرحال اول عراقي نادي بالاشتراكية

اتفق العديد من المؤرخين العراقيين على ان اول حلقة اشتراكية في العراق تكونت من حسين الرحال ومحمود احمد السيد ومصطفى علي وعبد الله جدوع وهم بحق الجماعة المؤسسة للفكر الاشتراكي والتي دعت له وطرحت رأبها في اصلاح المجتمع وفق الحل الاشتراكي.

ان حسين الرحال اول عراقي نادي بالاشتراكية في العراق ودعى لها وبث فكرتها بعد ان قرأ الكثير عنها ودعا اصدقائه وزملاءه لمطالعة ما كتب عنها بالمصادر العربية والاجنبية وكان يعقد حلقات للمناقشة حوله، لهذا يعد الرجال المحرك للنشاط الاشتراكي في المدة (١٩١٧-١٩٢٥)

ولد حسين الرحال في بغداد عام ١٩٠٢ من والد كان ضابطاً في الجيش العثماني، دخل مدرسة اللاتين في بغداد وتعلم الفرنسية ونقله والده الى اسطنبول فدخل المدرسة الثانوية هناك، ثم ارسل قبل اكمال المدرسة الثانوية الى المانيا من جانب الدولة العثمانية في اول قطار ذاهب الى المانيا عام ١٩١٦، وكان يحمل رسالة من قريبه صبيح نشأت موجهة الى توفيق الخالدي الذي كان يقيم في برلين وبعد استقراره في المدينة دخل مدرسة الهندسة، وامتاز بتفوقه على زملائه الالمان، وقد كان هنكاً في المانيا دعوة بين العراقيين للنظام الجمهوري في العراق، وقد كانت فكرة الجمهورية تمثل بالنسبة للرحال بداية الفتح على الفكر المتحرر، ثم بدأ يقرأ الصحف الالمانية التقدمية التي اطلع من خلالها على الفكر الاشتراكي، ومن ثم اندلعت الثورة العمالية في برلين عام ١٩١٨ التي كانت (اسبارتاكسيون) من ورثائها وقد هزمت هذه الثورة حسين الرحال بعنف، ثم اخذ الرحال يحاول معرفة طبيعة هذه الثورة والمبادئ التي تتركز عليها. عرف الرحال عن كتب مجريات احداث الثورة فقد كان اصدقاؤه من الطلبة الالمان المؤيدين للثورة، يذهب قسم منهم الى مناطق الثورة وكان الرحال يذهب بصحبتهم وكان يرى العمال بحماستهم الثورية ويشاهد الجنود وهم يبنزلون شاراتهم العسكرية من مقدمات خوذهم ويستبدلونها بشارات الثورة الحمراء، وكان يستمع في هذه المناطق الى خطب قادة الثورة (روزن الوسميرغ وليكنكخت) ولكن كان الشوار

حسين الرحال اول عراقي نادي بالاشتراكية



د. حميد عبد الله العتايي

يعدون الطلبة من مناطق الثورة خوفاً عليهم وكانوا يزودونهم بنشرات الثورة التي تحمل اسم (حكومة المجالس)، وان اغلب هذه النشرات كانت تطبع في بلغاريا التي سبق واعلنت فيها سلطة عمالية، ومن هنغاريا التي هي الاخرى شهدت قيام سلطة عمالية. ومن النشرات التي قرأها حسين الرحال آنذاك كراس تحت عنوان (حكومة السوفييات في هنغاريا) كما قرأ جريدة (العلم الاحمر) فضلاً عن الجريدة البرلينية (برلينوتاكه فالاك) وقد كانت هذه المطبوعات محملة بالفكر الاشتراكي عكف الرجال على مطالعتها. بعد ان اعلنت هدنة الحرب عام ١٩١٩ خيرت الحكومة العثمانية طلابها في المانيا بين البقاء هناك وكمال دراستهم على نفقتهم الخاصة وبين العودة قبل ان يكمل دراسته لاسباب تتعلق بالتحويل الخارجي.

يعتقد أ.د. عبد الرزاق مطلق ان الرحال مع قرأته لما كتب هناك في الفكر الاشتراكي، فانه اولاً لم يفهم الاشتراكية بمضمونها العلمي وثانياً لم يكن لديه تصور واضح عن مفهوم الاشتراكية بشكل عام، لكنه كانت لديه صورة باهتة عن الاشتراكية وافكار سطحية وربما عرف الاشتراكية انها نمط من العدل الاجتماعي او البر بالفقراء او العطف عليهم اي انها مسألة انسانية ليست لها اساس معينة، فالظروف غير الطبيعية التي كانت تسود المانيا اثناء الثورة والحرب لم تتيح له الاطلاع بشكل دقيق على الاشتراكية، وربما لم تكن لديه تلك الامكانية الفكرية التي تتيح



له استيعاب الفكرة وتبنيها بشكل سريع، ويبدو ايضاً انه لم يدرسها بعمق ووفق خطة منظمة اذ بعد ان عاد الى بغداد عام ١٩١٩ لم يظهر له نشاط واضح في بث الفكر الاشتراكي والدعاية كما ان من التقى معه هذه المرة لم يفهموا فكرة واضحة عن الاشتراكية ويؤيد ذلك قول السيدة امينة الرحال انه كوّن في المانيا صورة سطحية عن الاشتراكية. ولكن فضل الرحال انه اول من تحدث عن الاشتراكية على نطاق واسع واشاعها بين مجموعات كثيرة ولغت نظر المجتمع الى نظرية مبهمة هي (الاشتراكية) فحينما عاد الرجال التقى بمجموعة من الشباب التقت حوله واخذت تسمع منه ما عرفه هناك من فكر تقدمي ويضيف د. عبد الرزاق قائلاً: الحقيقة ان حسين الرحال في سبيل معرفة الفكر الاشتراكي بشكل اعمق فقد بذل جهداً في الحصول على المطبوعات ذات المضمون الاشتراكي من اي مصدر كان، ثم اخذ يحاول الحصول على الكتب الاجنبية التي اعتقد بانها هي المصدر الحقيقي لمعرفة الاشتراكية فطلب من السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية في بغداد بان يقوم باستيراد النشرات الاشتراكية عن طريق وكلائه في الخارج، وقد تم فعلاً الحصول بواسطته على بعض النشرات التي كانت تصدر آنذاك دور النشر الفرنسية والبريطانية الخاصة بالحزب الشيوعي الفرنسي وكان اول كتاب قرأه الرحال بعد عودته الى العراق كتاب لينين (الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية)، ثم كتاب لينين (الدولة والثورة) كما استطاع بالوسيلة

نفسها الحصول على جريدة (اللومانيته) ومجلات تقدمية اخرى منها مجلة (كابيه دي بولشفيك) كما قرأ لأول مرة شعر ناظم حكمت مترجماً الى اللغة الفرنسية. ويروي عبد الله جدوع انه كان يتصل بالمرحوم علي محمود احمد وحسين الرحال وسليم فتاح ومصطفى علي، وكان الحديث يدور بوجه عام حول الشؤون الادبية والاجتماعية وكانت الاشتراكية موضوع حوارهم غالباً، وكان الرحال يروي لهم ما يقرأ وما هو موجود في الصحف والمجلات الالمانية وغيرها وعن الحركات الاشتراكية التي شهدتها في المانيا اثناء وجوده هناك كانت الحلقة الاشتراكية الاولى يقدر اهتمامها بمطالعة الفكر الاشتراكي وتتبع ما ينشر حوله، تهتم ايضاً بما يجري في العراق من احداث سياسية وما يعانيه الفرد العراقي من فقر وجهل واحتمال اجنبي وما يتعرض له من استغلال وقد كان المجتمع العراقي آنذاك يعاني مشاكل كثيرة اهمها الفقر الشديد الذي كان يسحق الغالبية العظمى من افراده بجانب القلة المرتفعة من اغنياء المدينة وملاك الريف وكانت الامية تسود الغالبية العظمى من الشعب اذا عرفنا ان كل المدارس الابتدائية في العراق آنذاك (٩٠) مدرسة. اما الامراض فقد كانت متفشية على نطاق واسع مع قلة اسباب الوقاية والعلاج ان كان في انحاء العراق آنذاك (٩٠٠) سريري ومن قرية واحدة على سبيل المثال وجد عند الفحص ان (١١٠) اولاد كانوا مرضى من اصل (١٦٢) جمعوا من غير تعيين..

وفي المطالبة بالحرية الفكرية راح الرعيل الاول من الرواد يتحمس لها لأن الحرية تعني بالنسبة لهم بالضرورة نبض الحرية لاكارهم وللمتقدمين، تدفع بهم الى النشاط في افكارهم ومواجهة موجة الافكار والاراء الرجعية المهيمنة انذاك وان من تزعم المطالبة بالحرية الفكرية لم يكن بعيدا عن شلة(حسين الرحال) الاشتراكية التي راحت تطالب بالحرية الفكرية لضمان حرية التعبير في طرح كل ماهو جديد وتقديمي.

واذ اتخذت النقاشات والبحوث الفكرية القديمة في الفترة التي عاشها الرحال وشلته ثوب الدراسات الأدبية، فإن رواد الفكر الاشتراكي كانوا أيضا اول من نصبوا انفسهم ليؤكّدوا قدرة الحركة الأدبية في العراق على الارتباط بحركة الواقع وبالانعطافات المهمة في تاريخنا الحديث، وإذا كان الشعر العراقي الحديث قد بدا يهتم بمشاكل الحياة الاجتماعية ويصورها بشكل واقعي مهتما بكل ماهو جديد فيها، فإن الاشتراكي في محاولاته الجكر، على يد الاشتراكي(محمود احمد السيد) حمل أسمة المتميزة التي جعلته يصب في المجري العام لكتابات الواقعية متجاوزاً المرور التقليدي



بالرومانسية او الرمزية وبتجاهات الفن للفن التي شاعت في ثقافة الغرب الليبرالي.

ان دراسة تاريخ العراق الحديث تبين لنا ان النهوض الفكري الاشتراكي في العراق كان محصلة روافد ثقافية متعددة. فقد كان للمؤثرات العربية والاجنبية واصداؤها ثقل على توسيع الافق الفكري للمثقفين العراقيين. بعد عام ١٩٠٨م اصبحت تركيا اكثر تأثيراً في الفكر العراقي الحديث فقد كان اكثر المثقفين يعرفون التركية ويدرسون بلغتها فتعرفوا على التيارات الفكرية الحديثة التي بدأت تصبغ الفكر التركي الحديث منذ القرن التاسع عشر وضمئها التيار الاشتراكي الذي يشق طريقه في الفكر التركي وبرز فيه الكتاب والادباء والكتب المترجمة الجادة.

وكان لمصر الفضل الكبير في توسيع مدارك المتعلمين في العراق وتهيئتها لتمثل الافكار الاشتراكية، فقد ظلت (المقتطف) وغيرها من المجلات المصرية موضع اهتمام الشبان تدعوهم ليقرواها ويكتبوا فيها، واطل العراقيون على الفكر الاشتراكي عن طريق الكتب الاشتراكية، كذلك حاول المحتلون صد هذا التيار الذي بدأ عبر الاناضول او عن طريق بلاد فارس بواسطة الرجعية والمعلمين العاديين الى الوطن. وصار لهؤلاء البولشفيك انصار عديدون بدافع من وعي بسيط ناتج عن كراهية للانجليز والاستعمارين الفرنسيين والقباصرة

الحديث عن حسين الرحال هو حديث عن تاريخ عراقي يحتضن احداثا فكرية سياسية واجتماعية هزت المجتمع العراقي وفتحت الاذهان على مثل جديدة واكتشافات حديثة وآراء غير مألوفة، فسمع الناس صيحات تطالب بالنظام الجمهوري وتحرر المرأة ومساواتها بالرجال، والمطالبة بالحرية الفكرية والاهتمام بالمشاكل الاجتماعية.

وإذا كانت هذه الافكار الجديدة تعود في ظهورها الى بداية القرن العشرين فان أثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية، كان قد بدا بصورة واضحة منذ بداية العقد الثاني من هذا القرن.

والمهم ان هذه الصيحات قد اضطلع بها عراقيون لم يكونوا بعيدين عن الفكر الاشتراكي، فحسين الرحال الرائد الاول للفكر الاشتراكي في العراق كان قد فتتح ذهنه المتحرر اولا من خلال تشبعه بفكر الجمهورية، كما ان ثقل العناية بالمرأة وتحررها كان قد وقع، منذ البدء، على عاتق رواد الفكر الاشتراكي في العراق، بل العناية هذه كانت تمثل باكورة تحرك هذا الرعيل ومحور نشاطهم الفكري والعلمي، اذ كانوا دائما يقرنون تحرر المرأة بتحرر المجتمع بأسره وقد اسهم في تعزيز هذه الافكار معرفة مباشرة نقلها الى العراق بشكل خاص حسين الرحال.

د. عامر حسن فياض

لتربية اولاده وتنشئتهم نشأة تعليمية حديثة، وقد مات ولم يترك بعده سوى البيت الذي كان يسكنه واولاده.

عندما عاد “حسين الرحال” من ألمانيا الى العراق في نهاية عام ١٩١٩م كان قد وجد من سبقه ممن تأثر بالفكر الاشتراكي امثال “حمدي الباجه جي و” مزاحم الباجه جي”. ولقد عرف العراق في وقت مبكر الكثير ممن كتب عن الاشتراكية قبل(حسين الرحال)، ففي معرض حديثه عن “مبدأ المساواة” كتب الصحفي(محمد عبد الحسين) عن الاشتراكية عام ١٩٢٠م.

لكن الذي يدور من هذا الحديث أن علاقة(محمد عبد الحسين) بالفكر الاشتراكي لاتتجاوز الاطلاع على هذا الفكر بالرغم من انه عام ١٩١٨م عاد من ايران وهو يحمل كثيراً من الافكار الاشتراكية على شكل غير منظم(٥) وكان المحامي(عبد الرزاق عدوة) مطلعاً أيضاً على الفكر الاشتراكي من خلال حديثه عن ماركس والحركة الاشتراكية الألمانية، ولكن علاقته بالفكر الاشتراكي هو أيضا لاتعدى حدود الاطلاع.

اما(حسين الرحال) فإن اشتركيته من نوع آخر.

كيف تأثر(الرحال) بالفكر الاشتراكي؟.

لم يكن “حسين الرحال” قد اكمل دراسته الثانوية عندما أرسل من قبل الحكومة العثمانية الى ألمانيا مع أول قطار ذاهب الى هذه البلاد بعد افتتاح خط سكة حديد (بغداد- برلين) عام ١٩١٦م. وكان يحمل في سفرته هذه رسالة من قريبه (صبيح نشأت) الى (توفيق الخالدي) الذي كان مقبياً في برلين حينذاك، وقد تم له فعلاً الاتصال ب(توفيق الخالدي) بعد ان استقر في سكناه في منطفة(سيراندورت ميته) في برلين ثم بدأ دراسته في مدرسة الهندسة المسماة مدرسة(كينج).

ان الدعوة للنظام الجمهوري، في الوقت الذي كانت تسود فيه على الصعيد العالمي الانظمة الملكية التي اشتهرت برجعيتها، كانت تلك الدعوة تمثل البداية الاولى لتفتح عقل(الرحال) على الفكر المتحرر.

وكانت هذه البداية قد تكونت نتيجة حضور(الرحال) اللقاءات التي اعتاد أن ينظمها(الخالدي) صاحب الميول الجمهورية، في بيته كل يوم أحد مع الطلبة العرب في برلين. وقد كانت الصحف الألمانية وسيلية(الرحال) للأطلاع على الفكر الاشتراكي، ويقدر ما استطاعت هذه الصحف أن تهيه ذهن (الرحال) لتقبل الفكر الاشتراكي وأن تجعله مألوفاً لديه فأنها لم تستطع، مع ذلك، أن تدفع به حد التمسك بهذا الفكر حينها.

ولكن ما ان اندلعت الثورة العمالية في برلين عام ١٩١٨م، وكان السبارتاكيون، (صعبة الماركسين الشيوعيين الألمان) من ورائها، حتى هزت هذه الثورة(حسين الرحال) هزاً عنيفاً وبدا بالتساؤل عن طبيعتها فيذكر قائلاً” سألت جانوتيا وزوجته عما اذا كانت الثورة تستهدف إعادة الملك فريديك، فأجاباني متحسرين لعهد فريديك، بأنها ثورة عمالية”. واثناء الثورة تطور الأمر عند(الرحال) الى التفاعل مع افكارها الاشتراكية. وقد لعبت اصدقاؤه الطلبة الألمان المؤيدون للثورة دوراً كبيرا في ذلك، لاسيما أن قسما كبيرا منهم كان اشتهر بنزاهته، حيث النزاهة نادرة بين موظفي حكومة السلطة العثمانية انذاك، وكرس جهوده

مناطق الثورة وكان(الرحال) يذهب الى هناك بصحبته.

وفي هذه المناطق كان يستمع الى خطب(روزا لوكسمبورغ) و(كارل ليبكنخت) وغيرهما من القاده الاشتراكيين الماركسين. بيد أن التوار كثيراً ما كانوا يبعدونهم عن مناطق الثورة خوفاً عليهم، ولكن بالمقابل كانوا يزودونهم بنشريات الثورة التي كانت تحمل اسم “حكومة المجالس” وأغلب هذه النشريات كانت تطبع في مناطق(هنغاريا). ومن النشريات التي كان قد قرأها(الرحال) اثناء ذلك كراس بعنوان (حكومة السوفيات في هنغاريا)، كما قرأ جريدة(القم الاحمر)بالإضافة الى الجريدة البرلينية (برلينو تاكة مال).

أن هذه النشريات كانت محملة بالافكار الاشتراكية. وقد عكف(حسين الرحال) على قراءتها بفهم بالغ، وقد شكلت هذه المنشورات، بالإضافة الى وقائع واحداث ميدان الثورة، الاساس في تكوين فكر(حسين الرحال) الاشتراكي. ويقدر ما تم تكوين فكره الاشتراكي عبر الثورة العمالية الألمانية، فإنه كان قد اتخذ طابعاً خاصاً يتميز بالحركة والفعالية، وكان ذلك سبباً في الأيكتفي (حسين الرحال) في أن يكون ذا تفكير أشتراكي، وأنما يجعل، بكل حماس، من اجل بث الفكر الاشتراكي وخلق مناخ ذي تفكير اشتراكي.

وبهذه الروحية عاد (حسين الرحال) الى العراق، فعندما أعلنت الهدنة عام ١٩١٩م خيرت الحكومة التركية العثمانية طلابها في ألمانيا بين البقاء هناك لإكمال دراستهم على حسابهم الخاص وبين العودة على ظهر باخرة تركية تصل ألمانيا، وقد أختار (الرحال) العودة قبل أن يكمل دراسته، وذلك بالنظر لصعوبات التحويل الخارجي، عندما عاد (الرحال) الى العراق كان عمره ثمانية عشر سنة. وكان يحمل معه العديد من منشورات الثورة العمالية ومن ضمنها كراس(حكومة السوفيات في هنغاريا) انف الذكر.

وفي طريق عودته يلتقي في سوريا ب(ياسين الهاشمي) ويسأله الاخير عما يدور في اوربا فيطلعه(حسين الرحال) على هذا الكراس شارحا له مضمونه. ويطلب(الهاشمي) منه ان يقوم بترجمته، وعندما يخبره(حسين الرحال) بضعف أسلوبه في الكتابة باللغة العربية يطلب(الهاشمي) من الصحفي (رشيد الهاشمي).. الذي كان معروفاً انذاك بقوة أسلوبه، بأن يساعد(حسين الرحال) في ترجمة الكراس المذكور..

وعندما وصل (حسين الرحال) العراق واصل اتصاله بالفكر الاشتراكي العالمي. فقد أستطاع أن يفتح صاحب المكتبة العصرية(محمود حلمي) بأن يقوم باستيراد الكتب الاشتراكية عن طريق وكالةه في الخارج.(١٣). وقد تم فعلاً الحصول، عن هذا الطريقي، على بعض الكتب التي كانت تصدرها آنذاك دار النشر الخاصة بجريدة الحزب الشيوعي الفرنسي(اللومنتيه)، وكان أول كتاب قرأه(الرحال) بعد عودته الى العراق هو كتاب(الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية) ل(لينين) باللغة الفرنسية، ثم عقبه بكتابه الأخر (الدولة والثورة) وباللغة الفرنسية أيضا، كما أستطاع أن يحصل عن هذا الطريق على

بعض المجلات الاشتراكية منها مجلة (كابيه دي بولشفيك)التي كانت يصدرها التروتسكيون الفرنسيون. وقد قرأ لأول مرة شعراً لـ (ناظم حكمت) مترجماً الى اللغة الفرنسية، ويعد(الرحال) أول من عرف القراء العراقيين على الشاعر (ناظم حكمت).. وتأثر بأشعاره وبالمجلة الشيوعية التركية(رسم. بي. أي.) اي”المجلة الشهرية المصورة للشيوعية التركية” صبيحة زكريا.

وقد اطلع (حسين الرحال) على أفكار (ميكيافيلي) وتوضح لديه أن دعاة فكرة ميكيافيلي صاحب كتاب(الامير) هم من اصحاب فكرة التوسع والاستيلاء. وانصرف(حسين الرحال) الى التزود بالمزيد من الفكر الاشتراكي وعن طريق مكتبة(مكزي) وبمساعدة الأخير أستطاع فعلاً أن يحصل على كتاب (رأس المال) بكل اجزائه بسعر ٢٦ روبية، ولم يكن يكتفي بقراءة ماتيسر له من الكتب الأجنبية. وانما كان يقوم بترجمة وتلخيص البعض منها فليده ترجمة لقصة (أوجين أزيغ) عن زعيم حزب الاشتراكيين الثوريين الروس (أيفان نيكولا ديفتش). ودراسته بعنوان(مفهوم الثورات في العالَم القديم).. ودراسته اخرى عن (تربية الطفل عبر التاريخ) ودراسات ناقصة اخرى غير منشورة أيضا تحت عنوان(اشتات ملمومة).. والتي يبرر(حسين الرحال) عدم مواصلته اتمامها بمقولة لغوته تقول (انه في عدم قدرتك على اتمام شيء يكمن سر عظمتك). وأن هذه المجموعة تضمنت، كما كتب الرحال في اوراقه هذه، المواضيع الستة

التي بدأ بكتابتها ولم يتمها والتي صممت ووضع معالِمها وهي فن الترجمة، وعلى طريق بهارات، ملحمة جلجامش، دون كيشوت، المرأة في سيرتها، اللغة العربية واللغات الاوروية وتطورها. كما ترك (الرحال) دراسة قصيرة بأربع صفحات عن الاشتراكي الألماني (بيبل)، وأخرى بصفحتين رونيو بعنوان (نوعان من الحروب وموقف حركة السلام منها) زينها بمقولة لينيّن (من الضروري في كل حرب تنشعب تعيين محوِها السياسي).

أضافة لذلك فإن(حسين الرحال) اشترك مع عبد المجيد كمونة في وضع كتاب قانوني عام ١٩٥٣م يحمل عنوان (الادارة المركزية و الادارة المحلية في العراق).وقد كان (حسين الرحال)حريصاً على قراءة ما يترجمه هو ويخصه على اسماع الناس المقربين اليه، وكثيراً ما كانت تتم هذه القراءة في المقاهي البغدادية التي يؤمها هو واصدقاؤه. كما لم يكن (حسين الرحال) يكتفي باقتناء نسخة واحدة من الجرائد والمجلات الاشتركاية الأجنبية، فكثيراً ما كان يطلب (٦) نسخ بقصد توزيعها على اصدقائه ممن يعرفون اللغات الأجنبية.وفي الاخير لم يكن (حسين الرحال) يبخل على أحد بأعارة مالهيه من كتب ومجلات اشتركاية فلقد كان يستلم بانتظام مجلة (ليبر مونثلي) الانجليزية التي كان يصدرها آنذاك (بالمدات).

لقد تجسدت المواقف العملية ل(حسين الرحال) منذ بداية وصوله العراق. فعندما عاد(توفيق الخالدي) وطرحت مسألة نظام الحكم المرتقب في العراق، وقد(حسين الرحال) الى جانب (الخالدي) في تأييد وترشيح (عبد الرحمن النقيب) على اعتباره أن انتخابه يمثل مرحلة أولى للعبور نحو النظام الجمهوري.وبعدها

انصرف (حسين الرحال) الى عقد الندوات الثقافية في مقاهي بغداد مع النشاط الصحفي فأصدر مع جماعة من المثقفين التقدميين صحيفة (الصحيفة) في ٢٨ كانون أول ١٩٢٤م وكتب فيها مقالات ناضجة وفق نهج اشتراكي علمي(ينظر مثلا العدد الاول في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٤م مقالة (المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي، العدد الرابع في ٢ شباط ١٩٢٥م مقالة (أخلاق الإقطاعيات – الافتتاحية) والعدد الخامس في ١ مارس ١٩٢٥ مقالة(نظرية التاريخ) والعدد السادس من مارس ١٩٢٥ مقالة (هل هناك عروق ممتازة؟). ثم اشترك (حسين الرحال) مع الصحفي (ميخائيل تيسي) صاحب مجلة (الناس الشوارع) في إصدار جريدة (سبينما الحياة) في ١٧ كانون الأول ١٩٢٦، وهي أول جريدة عراقية وصفت نفسها بأنها جريدة اشتركاية بمعنى كونها جريدة شعبية من الشعب والاشعوب وعليه فستكون وقفا لخدمة العموم وأحوالهم الاشتراكية (٧). ثم اشترك (حسين الرحال) في التظاهر ضد زيارة الزعيم لصهيوني (الفريدموند) الى بغداد عام ١٩٢٨م وتم اعتقاله مع مجموعة كبيرة من المثقفين التقدميين.بعد ذلك ابتلعه العمل الوظيفي وترك الميدان الذي كان أول المساهمين في الدخول اليه وتطويره.

وقبل تلك المغادرة وحين عودة (حسين الرحال) من ألمانيا تعرف في بغداد على (محمود احمد السيد) وربطته به صداقة قوية. وكان يتم اللقاء بينهما أول الأمر في أحد غرف (جامع السنة الخانة) وفي هذه اللقاءات كان لمحمود احمد السيد والرحال أصدقاء آخرون كان قد تعرف عليهم الرحال فيما بعد منهم (عبد الله جودع ومحمد سليم فتاح و ابراهيم القران ومصطفى علي وعوني بكر صديقي وكمال صالح وفاضل محمد البياتي وغيرهم.

حول هذه اللقاءات يقول مصطفى علي أن احدهم كتب وأسمه (بطاطو) انه شاهد في التحقيقات الجنائية تقريراً عن مجموعة من الماركسين هم محمود السيد وحسين الرحال وعوني بكر صديقي ومصطفى علي وغيرهم يجتمعون في غرفة في جامع الحيدر خانة.

والحقيقة أن هذا التقرير يؤشر ظهور أول حلقة من الماركسين العراقيين حاولت تأسيس اول منظمة شيوعية ضمت كلا من حسين الرحال، عوني بكر صديقي، مصطفى علي، محمد سليم فتاح، محمود السيد، عبد الله جودع وفاضل محمد. ويقول في هذه اللقاءات عوني بكر صديقي انه عام ١٩٢٠م كانت اجتماعنا في غرفة (السيد) بجامع الحيدر خانة تلك الغرفة التي سميها ان ذاك ب(الوصوغة) وكانت غرفة مثالية متعة وكان رفاقنا صوفة من الاخوان الذين لم يكونوا ممن لوثقهم الأطماع والمراب الوضعية.

وقد اثر (حسين الرحال) على اصدقائه تأثيراً كبيرا بسبب مساكن يملكه من قدرة على القراءة بلغات اجنبية متعددة (الانجليزية، والفرنسية، الألمانية، التركية) وبالثنائي التزود بالثقافة الاوروبية بالقدر الذي لم يكن الآخرون يستطيعون بلوغه وقد أثر (حسين الرحال) بوجه خاص على محمود احمد السيد الذي تفتحت مواهبه واتضحت جهاته الاشتراكية والانسانية.

عن كتاب

تاريخ الفكر الاشتراكي في العراق

العدد (4011)

السنة الخامسة عشرة
الخميس (7) أيلول
2017

تعود بدايات معرفة العراقيين بالحركة الماركسية العالمية إلى جريدة (زوراء) التي خلقت وبعياً منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، كما واكبت الحركة الإصلاحية في الدولة العثمانية وما قام به الوالي العثماني مدحت باشا بشكل أساس في العراق مثلما غطت أخبار كومونة باريس.

وعلى الرغم من قلة الطلبة العرب الدارسين في أوروبا أواخر القرن التاسع عشر الا أنهم شكلوا رافداً مهماً في نقل الأفكار الاشتراكية للبلاد العربية ومنها العراق، إن المجتمع العربي الإسلامي، ومنه المجتمع العراقي، يؤمن من خلال ممارساته وحياته اليومية وتقاليدہ ببعض أوجه الاشتراكية، فعلى سبيل المثال، الاقتصاد الإسلامي لم يكن إقتصاداً رأسمالياً خالصاً. فهو يؤمن وفي وقت واحد بالملكية العامة والملكية الخاصة ولايمكن إغفال التعاليم الإسلامية التي تنادي بعدالة التوزيع وحق الفقراء في أموال الأغنياء.

د. سيف عدنان القيسي



حسين رحال والحركة الاشتراكية في العشرينيات

حسين الرحال والحلقة الاشتراكية الاولى في العراق

كما أشرت مبادئ ثورة أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٧ في روسيا بشكل أو باخر في شعوب الشرق، ومن الملاحظ أن فضح البلاشفة لاتفاقية سايبكس- بيكو ١٩١٦ التي نصت على تقسيم المشرق العربي بين البريطانيين والفرنسيين ونصلهم من بنودها دفع المثقفين العراقيين للبحث عن ماهية البلاشفة وتوجهاتهم الفكرية والسياسية، ولاسيما أن الحكومة السوفيتية وجهت نداءً الى كادحي الشرق ومنهم فالحو ما بين النهريين إذ أججوا مشاعرهم ضد البريطانيين. وأخذ الصراع البريطاني السوفيتي الذي أخذ طابعاً عنيفاً منذ أنسحاب السوفيت من الحرب العالمية الاولى حتى عام ١٩٢٤، والذي لفت انتباه السياسيين والمفكرين الى طبیعة الصراع الفكري بين القوتين يومئذ.

على الرغم من قلة أعدادهم كانت الفئة المثقفة العراقية تتابع ادبيات البلاشفة والاحداث الخارجية في روسيا من خلال المعلومات التي نقلها زوار العتبات المقدسة القادمين من بلاد فارس.

وازداد إعجاب بعضهم بالبلاشفة من خلال مطالبة الاطراف المتحاربة بوقف الحرب العالمية الاولى ورفضهم الاحتلال بل دعوتهم للتفاوض وعقد الصلح.

واتخذوا من مقهى النقيب في قنبر على، إحدى محلات بغداد، مكاناً للالتقاء يتوافد عليها شباب الحلقة من محلات باب الشيخ والبارودية والكولت، كما يشير إليها المحامي حسين جميل.

وإنفقت أراؤهم على إصدار مجلة نصف شهرية، للتعبير عن أفكارهم، فصدر العدد الاول منها يوم ٢٨ كانون الاول/ديسمبر ١٩٢٤، باعتبارها صحيفة أدبية علمية اجتماعية، ادارها حسين الرحال، تركزت أخبارها على مشكلات البلاد الاجتماعية والاقتصادية والفكرية هاجمت الإقطاع.

وتوسع نشاط هذه الحلقة وتزايدت أعداد أفرادها حتى أنهم أقاموا عام ١٩٢٦ "نادي التضامن" برئاسة يوسف زينل، تحرك تحت غطاءه دعاة الديمقراطية، من طلبة ومستخدمين، وكان من أبرز نشاطاتهم السياسية موقوفهم الاحتجاجي على زيارة الزعيم الصهيوني (الفردي موند) الى بغداد في ٨ شباط/فبراير ١٩٢٨، معبرين من خلالها عن موقف مناهض لسياسة بريطانيا تجاه قضية الشعب الفلسطيني.

ومن جهة أخرى ركزت جريدة "الصحيفة" الناطقة بلسانهم، على كسب ود الفقراء والكادحين، وهم الاغلبية الساحقة من الشعب العراقي من خلال مهاجمة الاغنياء والمترفين، يدهمهم مستغلي

كانت قوية و متنافرة مع الفكر الماركسي. الملاحظ أن بدايات النشاط الشيوعي امتد عبر بلاد فارس الى جنوبي العراق، وكانت ارض خصبة لتقبل الشيوعية، لوجود الإقطاع وظلمه بواسطة بطرس فاسيلي، الذي أستطاع إجتذاب العديد من الشباب العراقي ومنهم عبد الحميد الخطيب و زكريا الياس و سامي نادر واقتناعهم بإتباع الماركسية فشكل أول حلقة في البصرة عام ١٩٢٧ وفي الناصرية ١٩٢٨.

وأتخذ بطرس فاسيلي، الضابط في الجيش الروسي، والملقب ابو ناصر، من مدينة الناصرية مقراً له وبيت دعوته للشيوعية وجمع حوله عدداً من الاتباع، ومن خلال عمله خياطاً كان يتحدث للشبان عن التطورات في روسيا وأكثر من لازمه في الناصرية (يوسف سلمان يوسف) الذي شرح له مجريات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في روسيا السوفيتية.

إن نشاط بطرس فاسيلي (أبو ناصر)، على الرغم من طرده عام ١٩٢٤، لم يذهب سدى إذ شكل أول حلقة شيوعية في البصرة عام ١٩٢٧. ومن أوائل من إعتنقها بالبصرة هو عبد الحميد الخطيب والى ان عددها لم يتجاوز الـ (١٢) شاباً، أوائل العام ١٩٢٩، وعلى الرغم من بساطة معرفتهم بالفكر الشيوعي كانت حماستهم واضحة في الميدان.

لقد ترأمن تنامي النشاط الشيوعي في العراق مع الازمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩-١٩٣٢ التي أثرت بشكل واضح في السوق العراقية إذ تدنى الطلب الخارجي على المنتجات الزراعية العراقية ومن ثم هبوط أسعارها بشكل كبير. وفي خضم الازمة الاقتصادية العالمية التي ألقت بظلالها على العراق، ظهر عامل آخر ساعد على توسيع قاعدة الشيوعية في العراق، ولاسيما أن شعوراً قد ساد بأن المعاهدة الجديدة العراقية-البريطانية لعام ١٩٣٠، تمس سيادة العراق في نواح مختلفة.

وهكذا ففي الوقت الذي أراد فيه الشعب العراقي التخلص من قيود الإنتداب ، وجد نفسه مكبلاً بقيود معاهدة ١٩٣٠ وملاحقها المالية والاقتصادية والعسكرية.

ليس هذا فحسب بل إن فرض ضرائب جديدة على الشعب زادت من ارهاق الفئات الفقيرة، الذين يشكلون اغلبيية الشعب، إذ فرض قانون رسوم البديلات أنواعاً من الضرائب لم يجهدها الشعب من قبل مثل الرسوم على الكلاب والحمير وفحص السيارات والجسور والمعابر ووسائل النقل بجميع أشكالها.

إن تلك الضرائب دفعت رؤساء الجمعيات العمالية والحرفية، ومنهم مثلاً محمد صالح القرزان، إلى التحرك والمطالبة بإلغاء القانون، ورفع رؤساء الجمعيات مطالب عمالية أخرى، وأمام رفض المسؤولين وممطالاتهم تمت الدعوة الى الاضراب العام في الخامس من تموز/يوليو ١٩٣٢ وإستمر أسبوعين في بغداد وعدد من المدن العراقية الأخرى.

شكلت تلك العوامل الاقتصادية والسياسية العمالية والحرفية، ومنهم مثلاً محمد صالح القرزان، إلى التحرك والمطالبة بإلغاء القانون، ورفع رؤساء الجمعيات مطالب عمالية أخرى، وأمام رفض المسؤولين وممطالاتهم تمت الدعوة الى الاضراب العام في الخامس من تموز/يوليو ١٩٣٢ وإستمر أسبوعين في بغداد وعدد من المدن العراقية الأخرى.

شكلت تلك العوامل الاقتصادية والسياسية العمالية والحرفية، ومنهم مثلاً محمد صالح القرزان، إلى التحرك والمطالبة بإلغاء القانون، ورفع رؤساء الجمعيات مطالب عمالية أخرى، وأمام رفض المسؤولين وممطالاتهم تمت الدعوة الى الاضراب العام في الخامس من تموز/يوليو ١٩٣٢ وإستمر أسبوعين في بغداد وعدد من المدن العراقية الأخرى.

شكلت تلك العوامل الاقتصادية والسياسية العمالية والحرفية، ومنهم مثلاً محمد صالح القرزان، إلى التحرك والمطالبة بإلغاء القانون، ورفع رؤساء الجمعيات مطالب عمالية أخرى، وأمام رفض المسؤولين وممطالاتهم تمت الدعوة الى الاضراب العام في الخامس من تموز/يوليو ١٩٣٢ وإستمر أسبوعين في بغداد وعدد من المدن العراقية الأخرى.



والطلاب، وجعلهم قاعدته الجماهيرية، ونصب نفسه مدافعاً عن حقوق الفقراء ضد الإقطاعيين وكبار المسؤولين، وقدم مطالب كانت تعد قفزة نوعية سيوعاً لصلاح العمال والفلاحين كإلغاء ديون الفلاحين والضرائب المرهقة، وحرية العمال في الاجتماع والكلام، وإقامة نقابات لهم وضمان وتأمين مستقبلهم، ونادى بسقوط الإستعمار البريطاني ومعاهدته.

ولم يمض وقت طويل حتى عقدت اللجنة المركزية لم يكن النشاط الشيوعي بعيداً عن أعين الحكومة فتم إعتقال عدد من النشطاء السياسيين في ٢١ شباط ١٩٣٢ بينهم يوسف سلمان يوسف (فهد) الذي إعترف أنه شيوعي وليس من الحزب الوطني العراقي وأحيل هو وعدد من الموقعين الى المحكمة بتهمة التبشير بالشيوعية، ونظمو الى بغداد وأفرج عنهم بعد المحاكمة لعدم وجود نص في قانون العقوبات البغدادي يحرم الشيوعية، فتوارى يوسف سلمان يوسف عن الأنظار حال الافراج عنه.

ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدأ يتردد من جديد على بغداد عام ١٩٣٣ للتنسيق مع جماعة بغداد وجمع البيانات والمعلومات، ولاسيما ليست فقط ضد الحكومة العراقية والرموز الرسمية بل على قوى سياسية، عدت أقرب لحلفائها، مثلاً هاجموا "جماعة الاهالي" ذات الرؤية الإصلاحية وهذا بالطبع أدى الى عزلة الحزب الشيوعي العراقي.

كما هاجم الوليد الجديد حكومة ياسين الهاشمي إذ دعا الى الثورة ضدها وإسقاطها، وطعنات الى أن تعهدوا بنبذ مبادئ حزبهم، كما صادرت مطبعة الحزب ومشتوراته.

وعلى الرغم من كل الضغوط التي تعرض لها الحزب الشيوعي، لم يجمد نشاطه السياسي، فعندما أطاح بكر صديقي رئيس اركان الجيش

بحكومة ياسين الهاشمي، بأنقلاب عسكري يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦، عد الاول من نوعه في العراق الملكي، وبمجيء حكومة حكمت سليمان التي عمل بها بعض الشخصيات السياسية مثل جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي، أسهم الحزب الشيوعي بتأييد ذلك الانقلاب من خلال المظاهرات التي طافت شوارع بغداد وبعض المدن العراقية الأخرى ووزعوا منشورات مجيدة هذه المرة بأسم "لجنة الإصلاح الشعبي".

ورفع متظاهرو الحزب شعارات للناس بأنها شيوعية فمثلاً رفعوا أعلاماً حمراء، وحشدوا في مظاهرة ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٦، أعداداً كبيرة أغلبهم من العمال.

وعلى قرع الطبول حاولوا إسماع صوتهم، وكسب جماهير الفقراء، وما أكثرهم، فطالبوا بالخبز للجياع والارض للفلاحين، ونددوا بالفاشية وألقت مظاهرة الكرامة الشرقية مع مظاهرة قادها الشيوعيون التي انطلقت من جامع الحيدرخانة في شارع الرشيد.

إن حرية العمل السياسي التي سمحت بها حكومة الانقلاب للقوى السياسية، ومنها الحزب الشيوعي لم تدم طويلاً، إذ بدأ الضغط مجدداً على نشاط جمعية الإصلاح وجماعة الاهالي، وتعرض قادة جمعية الإصلاح الى إجراء غريب من نوعه، ينم عن أستخفاف مفرط بحقوق المواطن السياسية، إذ أسقطوا الجنسية عن عدد من قادة الحزب مثل عبد القادر اسماعيل البستاني وأخيه يوسف اسماعيل ومن جانب آخر ندد بكر صديقي بالشيوعية بقوله "ليس العراق تربة صالحة للشيوعية" بدأت حكومة حكمت سليمان رئيس الوزراء في حكومة الانقلاب تشهر معاداتها للشيوعية ومحاربتها حتى لهذه الكلمة وخشي أن يرتبط مصطلح الشيوعي بكلمة الفقراء، وأعلن بعد حكومته "عن الشيوعية وكل كلمة ينشم منها رائحة الشيوعية".

لم يدم عمر انقلاب بكر صديقي طويلاً، وهو الذي ركز كل اصلاحيات بيده مخفلاً له أعداء كَثراً، سرعان ما أتت الى مقبلته في الموصل يوم الحادي عشر من آب/أغسطس ١٩٣٧ وهو في طريقه الى تركيا.

وعندما تألفت حكومة جميل المدفعي الرابعة في السابع عشر من آب ١٩٣٧، جرت اعتقالات واسعة في صفوف الجيش كانت تهمتهم الشيوعية، كما أعتقلت الشرطة الكثير من الشباب بتهمة الإلتقاء للشيوعية ومثلوا أمام المحاكم وصدرت بحقهم أحكام متنوعة.

وأسهمت الخلافات الشخصية بين قادة الحزب في إرباك قواعد العمل السري الذي طغى على نشاط الحزب ورافق ذلك إختراق الاستخبارات العسكرية للتنظيم الشيوعي بين الجنود ولاسيما في مدينتي كركوك وبغداد، ومن ثم إعتقال قيادات الحزب الشيوعي مثل زكي خيري ويوسف متي.

لقد حدث تطور جديد ضيق الخناق على نشاط الحزب الشيوعي العراقي إذ أصدرت الحكومة العراقية ذيل قانون العقوبات البغدادي رقم (٥١) لسنة ١٩٣٨، نصت الفقرة الاولى من المادة الاولى "يعاقب بالإستقال أو الحبس مدة لا تزيد على سبع سنين أو الغرامة، أو كليهما، كل من حذب أو روج بإعادة أو المادة ٧٧ من هذا القانون أشخاص عليها في المادة ١٧٤ من هذا القانون اياً من المذاهب الاشتراكية أو البلشفية أو الفوضوية أو الإباحية"، وقد أعلت تلك المادة القانونية السلطات الحكومية الغطاء القانوني، لإعتقال الكثير من قيادات الحزب الشيوعي، فلم يجد الحزب الشيوعي من خيار سوى تجميد نشاطه.

عن رسالة (الحزب الشيوعي العراقي ١٩٤٩-١٩٥٠)



ح

ولد الرحال عام ١٩٠٢ في بغداد من والد ضابط في الجيش العثماني - دخل مدرسة اللاتين في بغداد وتعلم الفرنسية، ثم نقل والده الى استانبول - فدخل المدرسة الثانوية هناك.

ثم ارسل قبل اكمال المدرسة الثانوية الى المانيا من قبل الدولة العثمانية في اول قطار ذاهب الى المانيا بعد افتتاح خط سكة حديد بغداد عام ١٩١٦ وكان يحمل رسالة من قريبه صبيح نشأت موجهة الى توفيق الخالدي الذي كان يقيم في برلين - وبعد ان اتصل به واستقر في نفس المدينة دخل مدرسة الهندسة المسماة مدرسة، ويروي انه (كان متفوقا في صفه وبارزا بين زملائه التلاميذ الالمان)، وقد كانت هناك في المانيا دعوة بين العراقيين للنظام الجمهوري في العراق - وكانت فكرة الجمهورية تمثل بالنسبة للرحال بداية للتفتح على الفكر المتحرر - ثم بدأ يقرأ الصحف الالمانية التقدمية التي اطلع من خلالها على الفكر الاشتراكي - ومن ثم اندلعت الثورة الالمانية في برلين عام ١٩١٨ - التي كان (السيارتكسيون) من ورائها - وقد هزت هذه الثورة حسين الرحال بعنف.

د. عبد الرزاق مطلق الفهد

حسين الرحال وبدايات الفكر الاشتراكي في العراق

واخذ يحاول معرفة طبيعة هذه الثورة و المبادئ التي ترتكز عليها - عرف الرحال عن كتب مجرييات احداث الثورة فقد كان صدقاته من الطلبة الالمان المؤيدين للثورة يذهب قسم منهم الى مناطق الثورة - وكان الرحال يذهب بصحبتهم وكان يرى العمال بحماسهم الثوري ويشهد الجنود وهم ينتزعون شاراتهم العسكرية من مقدمات خوذهم ليستبدلواها بشارات الثورة الحمراء، وكان يستمع في هذه المناطق الى خطب قادة الثورة (روزا لوكسمبورغ وليينكخت) ولكن كان الضوار يبعدون الطلبة عن مناطق الثورة خوفا عليهم - وكانوا يزودونهم بنشرات الثورة التي تحمل اسم (حكومة المجالس). ان اغلب هذه النشرات كانت تطعن في مناطق (بغاريا) التي سبق واعلنت فيها سلطة عمالية، وفي هونغاريا التي هي الاخرى شهدت قيام سلطة عمالية

بزعامه (بلاكون). من المنشريات التي قرأها حسين الرحال انذاك كراس بعنوان (حكومة السوفييات في هونغاريا) كما قرأ جريدة (العلم الاحمر) اضافة الى الجريدة البرلينية (برلينو تاكه فلاك) وقد كانت هذه المطبوعات محملة بالافكار الاشتراكية فعكف الرحال على مطالعتها بنهم. بعد ان اعلنت الهدنة عام ١٩١٩ خيرت الحكومة العثمانية طلابها في المانيا بين البقاء هناك واكمال دراستهم على نفقتهم الخاصة وبين العودة الى اسطنبول وقد اختار الرحال العودة قبل ان يكمل دراسته لاسباب تتعلق بصعوبة التحويل الخارجي. الظاهر ان الرحال مع قراءته لما كتب هناك عن الفكر الاشتراكي، فانه اول لم يفهم الاشتراكية بمفهومها العلمي وثانيا لم يكن لديه تصور واضح عن مفهوم الاشتراكية بشكل عام - لكنه كان لديه صورة باهتة عن الاشتراكية وافكار سلفية ربما عرف عن الاشتراكية انها نمط من العدل الاجتماعي - او البر بالفقراء والعطف عليهم - اي انها مسألة انسانية ليست لها اسس معينة، فالظروف غير الطبيعية التي كانت تسود المانيا اثناء الثورة والحرب لم يتح له الاطلاع بشكل دقيق على الاشتراكية، وربما لم تكن لديه تلك الامكانية الفكرية التي تتيح له استيعاب الفكرة وتتبعها بشكل سريع، ويبدو ايضا انه لم يدرسها بعمق ووفق خطة منظمة، ان بعد ان عاد الى بغداد عام ١٩١٩ لم يظهر له في البداية نشاط واضح في بث الفكر الاشتراكي والدعاية له، كما ان من التقى معه هذه الفترة لم يفهم منه فكرة واضحة عن الاشتراكية ويؤيد ذلك قوله السيدة امينة الرحال انه(كون في المانيا صورة سطحية

عن الاشتراكية). كما يذكر السيد عبد القادر اسماعيل انه عرف الرحال وسمع احاديثه عن الفكر الاشتراكي ولكن النظرية الماركسية لم افهمها منه، وان كل ما عنده كان اشياء سطحية، ولم يكن هناك هضم للنظرية الاشتراكية). عاد حسين الرحال ولا تزال الصحافة العراقية والمطبوعات تكتب عن نظام روسيا بالذم تارة وبالمديح تارة اخرى، وكثير ما يحصل ان تدم الصحيفة المذهب الاشتراكي في حين يظهر مع ذلك الدم جوهر المبادئ الاشتراكية، يبرز مع الدم اهتمام الاشتراكية بالعمل والفئات الكادحة ورفع شأنهم والقضاء على الفوارق الطبقية. كتبت جريدة العراق مقالا بعنوان (نظام البلشفيك السياسي) وتكررت انها تكتب رواية شاهد عيان عاد اخيرا من روسيا، جاء في

مقالها: ((عندما استلم السلطة الحزب الاشتراكي المتطرف المسمى الحزب الكوموني والبلشفيكي اعلن سلطة العمال المطلقة فصار العامل والاجير والخدام و اغلبهم من الاميين والجهلة اصحاب الحال والربيط في تلك البلاد العظيمة، وباب البيت صار صاحبه والمسيطرة على سكانه.. ويحكم كل قضاء ومقاطعة مجلس ينتخب من العملة والخدام واصحاب الحرف الحقيمة حسب نوع السكان...)).

وفي تعليق للجريدة على اجور العمال قالت: ((جاء المذهب الاشتراكي في العصور المتأخرة يساوي بين الناس ولا يعرف لهم تفاضلا في غير الميزات الحقيقية والخدمة العامة، فتتنفس العمال الصعداء في البلاد التي اشرفت عليها من الحرية شموسا ساطعات وظللتها اقباء المساواة))، وبعد ان اذنت الصحيفة على المبدأ الاشتراكي وعرفت القارئ بانها ليس هناك من تفاضل بين الناس، قارنت ذلك مع العراق بقولها: ((اما عندنا فان العمال ما زالوا حتى هذه الساعة بلا رابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم)).

ومن المقالات الطويلة التي كانت على شكل نقد للاشتراكية ما يتخذ شكل مناقشة البعض اسس الاشتراكية، يعطي للقارئ صورة ولو بسيطة عن الاشتراكية، فنجد مقالا للقاس حنا رحمانى من مدينة الموصل بعنوان: (المبادئ الاشتراكية والعقل السليم) جاء فيه: (كنا وكانت المبادئ الاشتراكية اراء يحصرها كتاب بين جلديه وافكاراً لبعض المتفنيين كانت لهم نظريات خيالية.. اما اليوم وقد تأسست دولة - الدولة الروسية البلشيفية على المبادئ الاشتراكية - دولة عظيمة تصل الرقي الغربي الحديث الطراء



الناس لا يختص منها شيء بفرد من البشر ويقول الاشتراكيون من ان الاشياء لا يمكنها ان تكون للأفراد بل هي لكل منتج من ذلك ان من ينفرد بشيء منها لاستعماله الشخصي، وللملكه فكان يختلسه من الهيئة الاجتماعية، بعضهم وهم اشدهم جراً وغيره، يريدون بسذاجة صبيانية، ان تقسم الاشياء كلها بين الجميع على السواء وبكل ضبط ودقة مستثنين على هذا ان الجميع متساوون، رأي غيرهم امتناع قسمة كهذه، فحففوا من وطأة مبادئهم الصلبة، قالوا على الحكومة ان تقبض اثمار شغل كل فرد وهي التي تقوم باود الجميع كل حسب حاجته)).

تلاحظ ان الشعراء قد نهبوا الى مسألة الصراع بين المالكين والمعدمين وبينوا كيف يستغل القوى الضعيف في ظل الانظمة غير العادلة.. فيقول الشاعر محمد مهدي الجواهري:

ولما نزاحت القوى وتهافت
منها سمان عجاج
متكالبين كأن رب لغاتهم
ما خط فيها لقطته الانصاف

لو كان في مال الغني لمعوز حق لسادت عيشته بكفاف
حينما عاد الرحال التقى بمجموعة من الشباب التقى حوله تسمع منه ما عرفة هناك من فكر تقدمي، كان الذين يلتقون به ويسمعون منه كثيرون، لكن المجموعة الالفة الذكر استمرت على اتصال به وكونت معه حلقة لها نشاطها الثقافي المتمثل في المناقشة حول الفكر التقدمي وما يستجد حوله، وفي تبادل المطبوعات المتضمنة هذا الفكر، سواء كانت عربية ام باللغات الاجنبية والتحدث عن هذه المعلومات التي ترد بلغات اجنبية الى من يجهل تلك اللغات، هذه المجموعة اصبحت كحلقة ملتزمة بمبادئ تقدمية، بل ان بعض الباحثين من سماهم بانهم اول حلقة ماركسية في العراق، وهذه التسمية في الواقع مبالغ فيها الى حد ما.

تضم المجموعة بالإضافة الى حسين الرحال، محمود احمد السيد، مصطفى علي، عبد الله جدوع، ابراهيم القزاق، وسليم فتاح، كان الاثنان الاخيرين اقل ايمانا بالفكر الاشتراكي من بقية الجماعة، لكن اللقاءات المستمرة، كان يلتقي فيها الجميع مع تفاعلات في فهم المذهب الاشتراكي والايمان به، ولكن الجدل كان يدور حول هذا المذهب، فهناك اراء تعتقد به واخر لا ترى فيه ما تراه الاخرى، وقد كان من هؤلاء سليم فتاح، كان شخصية تقدمية علمية لكنه بعيداً عن الافكار الاشتراكية، ونك فهو في نزاع مع الجماعة الذين اعطت الفرد هذا الحق لانها وهبته غريزة الدفاع عن النفس والنضال ضد اي خطر وعلته ان من عوامل تقوية النفس هو التملك. ثم يعود للمبدأ الاشتراكي فيقول: ((يزعم الاشتراكيون ان الطبيعة لا تعطي لاحد حق التملك اذا ان في البدء كانت الاشياء كلها لكل

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير



رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق



الإخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com



حسين الرحال.. الثائر

علي حسين

غرفته بل طالبهم بان يأخذوا معهم ولده « الزنديق ».

إلا أن هذه الافتتاحية استهوت الزهاوي الذي كان جريئاً إلى حد بعيد، فالرجل كان معجبا بمقالات الرحال التي عدّها شبيهة بالكتابات التي كان ينشرها اللبناني شبلي شميل في صحيفة المقتطف مما دفعه الى كتابة قصيدة اسمها «الدمع ينطق»، لم تجرؤ صحيفة عراقية على نشرها فنشرها في صحيفة الاهرام المصرية، وفيها يقول:

وسائلة هل بعد أن يعبت البلى
باجسادنا نحيا طويلاً ونرُزقُ
فقلتُ مجيباً إنني لستُ واثقاً
بغير الذي حسبي له يتحقّق
وهيهات أن ترجى حياة لميت
إليه البلى في قبره يتطرّق
تقولين يفنى الجسمُ والروحُ خالدُ
فهل بخلود الروح عندك موقنٌ؟

١٩٢٤ تعد من اطرف القصص في تاريخ الصحافة العراقية، فلم يكن للصحيفة مقر وكان كادر التحرير ينتقل من مقهى الى مقهى وبرزها كان مقهى قنبر علي ومقهى الباب الشرقي ومقهى الشروق الذي وضعه حسين الرحال في ترويسة الصحيفة باعتباره مقراً مؤقتاً، بعدها استطاع محمود احمد السيد ان يجد لهم مقراً ثابتاً وهو غرفة امام جامع الحيدرخانه.

ويحدثنا الجواهري عن هذه الصحيفة قائلاً: « كانوا معروفين في بغداد بأنهم حملة الأفكار الاشتراكية، وكانت هذه الجماعة ترناد بالمقاهي وحين تشاهدتهم تجدهم في نقاش مستمر حول ما قراوه مؤخراً ».

ومن الافتتاحيات المثيرة التي كتبها حسين الرحال مقالة حول الفكر المادي وقد تعرض المقال لهجوم عدد كبير من رجال الدين الذين رأوا فيه مساساً بالعقيدة الإلهية مما دفع امام جامع الحيدرخانه لطردهم من

الحزب الشيوعي الفرنسي (اللومانتية)، وكان أول كتاب قرأه (الرحال) بعد عودته الى العراق هو كتاب راس المال وباللغة الفرنسية، بل يعد الرحال اول من نشر مقتطفات من الكتاب وعلق عليه في جريدته «الصحيفة»: «ان هذا الكتاب يسد النقص الملموس في المؤلفات التي تشرح اصول الفكر الاشتراكي وهو يبشر العالم بمجتمع العدالة الاجتماعية، ونظام يستطيع أن ينتشلنا من حالتنا إلى خير منها».

في المقالات التي سينشرها تباعاً في الصحيفة هناك حديث مستفيض عن الفلاسفة الاشتراكيين وعن ثورة العمال في المانيا التي كان الرحال احد شهودها، وعن انهياره بخطب روزالكسمبورغ وعن كتاب لينين الدولة والثورة الذي قرأه بالفرنسية وسعى الى تعريف القراء العراقيين بمضمونه.

ولعل قصة تاسيس جريدة الصحيفة عام

يصف ريجيس دوبريه الثائر كآلتي: لا وجود لرجل واحد في العالم اهتم مثله أربعاً وعشرين ساعة في اليوم بالثورة ولم تخطر في ذهنه غير الأفكار التي تتعلق بالثورة ولا يرى غير الثورة في أحلامه عندما ينام.

كان واحداً من هؤلاء هو حسين الرحال الذي ارسلته الحكومة العثمانية للدراسة في المانيا مع اول عربية قطار انطلقت بعد افتتاح خط برلين بغداد ١٩١٦، هناك كانت الصحف الالمانية الوسيلة الاولى التي تعرف من خلالها على الفكر الاشتراكي والعمالي «سالت احد الالمان هل تسعى هذه الافكار لبناء نظام اشتراكي؟، فأجابني بأنها تدعو لحكومة عمالية ».

وعندما عاد الرحال الى العراق واصل اتصاله بالفكر الاشتراكي العالمي. فقد استطاع عن طريق صديقه الاسكتلندي (دونن مكنزي) صاحب مكتبة مكنزي ان يحصل على بعض الكتب واعداد من جريدة

